

اغتصاب أرض، وقضية تشريد شعب، وقضية تهديد لمنطقة عربية وإسلامية كبيرة. وتفرز القضية الفلسطينية، بطبيعتها، مجموعة من القوى ترفض الحلول الوسط انطلاقاً من الحق التاريخي، بينما تبرز قوى أخرى تقبل الحلول الوسط انطلاقاً من توازن القوى الاقليمي والعالمي، دون أن يكون هناك، بالضرورة، تناقض فعلي بينهما، مهما بدا على السطح أن هذا التناقض قائم وفعال. فالتناقض بينهما، في حقيقته، هو تناقض في فهم التاريخ، وتناقض في فهم منطق الحسم في الصراعات الكبيرة، وليس تناقضاً عادياً في جوهره، ولا يجب أن يكون كذلك. ويترتب على هذا، أن القيادة الفلسطينية مطالبة بأن تنظر الى هذا النوع من الرفض نظرة تاريخية بعيدة المدى، وتتعامل معه، انطلاقاً من ذلك، باعتباره تياراً سبيرز حتى لو لم يكن موجوداً الآن، ويشكل بروزه تعبيراً عن طبيعة القضية الفلسطينية، وحتى يصل بها الى الحل العادل والانساني. هذا النوع من الرفض، يجب استيعابه من خلال رؤية مساره التاريخي، وليس من خلال رؤية تناقضه العملي والسياسي مع مجريات المرحلة، أو مع تطبيقات القرار الواقعي للقيادة الفلسطينية. وكما يفرز المجتمع الاسرائيلي (وعلى قاعدة الاحتلال والطرد) شعارات أرض - اسرائيل الكبرى، سيفرز المجتمع الفلسطيني (وعلى قاعدة الحق ورفع الظلم) شعارات تحرير فلسطين.

● ولا بدّ ان نقر سلفاً، كذلك، ان جزءاً كبيراً من الخلاف الفلسطيني - الفلسطيني حول التسوية، لا ينبع من الفلسطينيين أنفسهم، بل هو ينبع من رؤية مخطط الخصم وتقويمه، سواء كان الخصم اسرائيلياً أو أميركياً. ان الخلاف حول تقويم الخطر المقبل من هذا المطلب الاسرائيلي - الاميركي أو ذاك، والخلاف بالتالي حول كيفية مواجهته، هو منبع الخلافات الفلسطينية، وليس منبعها، مطلقاً، تهاون هذا الطرف أو ذاك، أو رغبة هذا الطرف أو ذاك بالتنازل والتفريط. وقد تبدو هذه القضية شكلية حين يتداخل، في النهاية، مطلب الخصم مع الاستعداد للتعامل معه أو الرضوخ له، ولكن هذه القضية، في العمق، ليست شكلية على الاطلاق. فأساس الموقف الفلسطيني هو الحقوق الفلسطينية، ومطالب الخصم هي التي تسعى للنيل من هذه الحقوق. والخلاف ينشأ حول الاجتهاد في كيفية التعامل معها. وتأكيد ذلك ضروري لكي نثبت قاعدة الحوار، فهو حوار اجتهادات وليس حوار ادانات، دون ان يعني ذلك التقليل من شأن الحوار، وهو أحياناً حوار حاد وصاخب وعنيف. وتبرز أهمية هذه النقطة عند تقويم العمل السياسي الفلسطيني في أي مرحلة من المراحل. فيركز المنتقدون على مخطط الخصم وسليباته ومخاطره، ويركز المؤيدون على حسن الأداء الفلسطيني في التفاوض، ويدور النقاش، بالتالي، حول موضوعين مختلفين، أو ينظر كل طرف الى جانب من الصورة يرفض الطرف الآخر ان يراه، ذلك أن الحوار يأخذ طابع المنافسة أو التبرير ونادراً ما يأخذ طابع الاحتكاك بين العقول للوصول الى أفضل صيغة سياسية ممكنة.

● ويختلف الفريق الفلسطيني المفاوض عن أي طرف عربي مفاوض آخر. يستطيع الطرف العربي، بحكم كونه دولة، ان يقود مفاوضات دبلوماسية، ثم يستطيع ان يجعل من هذه الدبلوماسية دبلوماسية سرية. ان ورقة واحدة لم تتسرب من مفاوضات الوفد السوري، وتسرّبت ورقة واحدة من مفاوضات الوفد الاردني أدت الى الغاء عضوية الشخص الذي سرّبها، ونشرت صحيفة لبنانية ورقة من اوراق التفاوض اللبناني فقدّمت الصحيفة للمحاكمة. ولا يستطيع المفاوض الفلسطيني ان يفعل على غرار زملائه العرب، لا بسبب العجز، بل لأنه لا يستطيع ان يقود دبلوماسية سرية. ان دبلوماسيته تستدعي، بالضرورة، حشداً شعبياً حولها، ومحاولات دائبة لاقتناع الجماهير الفلسطينية بها، وحواراً متواصلًا مع القوى المعارضة أو الراضية كجزء من عملية الحشد الشعبي المطلوب. ولذلك فإن